أثراً في رؤية بارث للشرق العربي. فهو في إحدى محاضراته المنشورة يقول، داعماً مقولة الاختلاف الثقافي ونسبية ما يسمى الواقعية «.. . إن غارسيا ماركيز يخبرنا أن ما نعتبره ـ نحن الأجانب الأنجلو ساكسون ـ سوريالية في قصصه هو الواقع اليومي في بلاده».[٣٩] فهل يظن بارث ـ قياساً على هذا ـ أن خرافية الشرق كما ترسمها حكايات السندباد هي بشكل أو بآخر واقعاً يومياً في البلاد العربية؟

في إشارة لإحدى الروايات التي كان سيمون بيلر يعمل على إنجازها يقدم بارث ما يمكن اعتباره إضاءة لطبيعة الكتابة لديه هو. يقول: «إن بيلر كان يعمل على رواية "تجمع محاولاته الأولى لكتابة القصة وقدراته المتأخرة ككاتب للمقال الشخصي ومعلق على عصرنا» (ص٢١٠). والواقع أن هذا يُساعد فعلاً على فهم عمل مثل *الإبحار الأخير* وكثير مما سبقه، حيث يمتزج الواقع بالخرافة والجد بالهزل والتوثيقي بالفنتازي. وكنا قد رأينا ما يشبه هذا المزج في حكاية إدغار ألن بو وما سبقها من حكايات استشراقية تعضد رؤيتها الخرافية للشرق بهوامش معلوماتية تسبغ على الخرافة الكثير من مصداقية الوثيقة أو المقال. فما الفرق بين استشهاد بو بالقرآن الكريم وإشارة بارث إلى «الواقعية الإسلامية"؟ ولماذا يتواتر الحرص من بيكفورد في نهاية القرن الثامن عشر إلى بارث في التسعينيات من القرن العشرين على إبقاء المسلمين العرب في دائرة الكراهية للعلم، حين نقرأ في *فاثك* عن نفور المسلمين من العلوم، ويذكرنا الروائي الأمريكي بجهل العرب بالساعة وتفضيلهم لخرافات الرخ والعفاريت ؟ إن منطق استقلالية الفن وحرية المبدع تتهاوى أمام النزعة التوثيقية في كثير من هذه الأعمال وأمام التشويه والعبث الناجمين عن تأليفها سواء كان ذلك مقصوداً أم غير مقصود.